وقد حصل له من الشرف غير شرف النسب جهات كثيرة متعددة قد ذكرنا بعضها ومع ذلك فكان اشد الناس تواضعاً لصغير وكبير والينهم
عريكة واسمحهم خلقاً وابعدهم عن الكبر واعرفهم بحق وكانت حاله هذه في كلتي زمانيه زمان خلافته والزمان الذي قبله لم تغيره الامرة
ولا احالت خلقه الرياسة وكيف تحيل خلقه الرياسة وما زال رئيساً وكيف تغير الامرة سجيته وما برح اميراً لم يستفد بالخلافة
شرفاً ولا اكتسب بها زينة بل هو كما قال ابو عبد الله احمد بن حنبل ذكر ذلك الشيخ ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف
بالمنتظم قال تذاكروا عند احمد رض خلافة ابي بكر وعلي وقالوا فاكثروا فرفع راسه اليهم وقال قد اكثرتم ان علياً لم تزنه الخلافة ولكنه
زانها وهذا الكلام دال بفحواه ومفهومه على ان غيره ازدان بالخلافة وتممت نقيصته وان علياً ع لم يكن فيه نقص يحتاج الى ان
يتمم بالخلافة وكانت الخلافة ذات نقص في نفسها فتم نقصها بولايته اياها ومنها ان الغالب على ذوي الشجاعة وقتل الانفس واراقة
الدماء ان يكونوا قليلي الصفح بعيدي العفو لان اكبادهم واغرة وقلوبهم ملتهبة والقوة الغضبية عندهم شديدة وقد علمت
حال امير المؤمنين ع في كثرة اراقة الدم وما عنده من الحلم والصفح ومغالبة هوى النفس وقد رايت فعله يوم الجمل ولقد احسن مهيار
في قوله حتى اذا دارت رحى بغيهم عليهم وسبق السيف العذل عاذوا بعفو ماجد معود للعفو حمال على العلل فنجت البقيا عليهم من نجا
واكل الحديد منهم من اكل اطت بهم ارحامهم فلم يطع ثائرة الغيظ ولم يشف الغلل ومنها انا ما راينا شجاعاً جواداً قط كان عبد الله
بن الزبير شجاعاً وكان ابخل الناس وكان الزبير ابوه شجاعاً وكان شحيحاً قال له عمر لو وليتها لظللت تلاطم الناس في البطحاء على الصاع
والمد واراد علي ع ان يحجر على عبد الله بن جعفر لتبذيره المال فاحتال لنفسه فشارك الزبير في امواله وتجاراته فقال علي ع اما انه قد
لاذ بملاذ ولم يحجر عليه وكان طلحة شجاعاً وكان شحيحاً امسك عن الانفاق حتى خلف من الاموال ما لا ياتي عليه الحصر وكان عبد الملك
شجاعاً وكان شحيحاً كان يضرب به المثل في الشح وسمي رشح الحجر لبخله وقد علمت حال امير المؤمنين ع في الشجاعة والسخاء كيف هي وهذا
من اعاجيبه ايضاً ع قال الرضي ره وربما جاء في اثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك ان روايات كلامه ع
تختلف اختلافاً شديداً فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية اخرى موضوعاً غير وضعه الاول
اما بزيادة مختارة او بلفظ احسن عبارة فتقتضي الحال ان يعاد استظهاراً للاختيار وغيرة على عقائل الكلام وربما بعد العهد ايضاً بما اختير
اولاً فاعيد بعضه سهواً او نسياناً لا قصداً واعتماداً وما ادعي مع ذلك انني احيط باقطار جميع كلامه حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يند
ناد بل لا ابعد ان يكون القاصر عني فوق الواقع الي والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي وما علي الا بذل الجهد وبلاغ الوسع
وعلى الله سبحانه نهج السبيل ورشاد الدليل ان شاء الله ورايت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر
فيه ابوابها ويقرب عليه طلابها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضي في اثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل
وتنزيه الله تعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وشفاء كل علة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه استمد التوفيق والعصمة وانتجز التسديد
والمعونة واستعيذه من خطاء الجنان قبل خطاء اللسان ومن زلة الكلم قبل زلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل الشرح في اثناء هذا
الاختيار تضاعيفه واحدها ثني كعدي واعداء والغيرة بالفتح والكسر خطاء وعقائل الكلام كرائمه عقيلة الحي كريمته وكذلك عقيلة الذود
والاقطار الجوانب واحدها قطر والناد المنفرد ند البعير يند والربقة عروة الحبل يجعل فيها راس البهيمة وقوله وعلى الله نهج السبيل
اي ابانته وايضاحه نهجت له نهجاً واما اسم الكتاب فنهج البلاغة والنهج ههنا ليس بمصدر بل هو اسم للطريق الواضح نفسه والطلاب
بكسر الطاء الطلب والبغية ما يبتغى والبلال كل غلة بكسر الباء ما يبل به الصدى ومنه قولهم انضحوا الرحم ببلالها اي صلوها بصلتها و
ندوها قال اوس كأني حلوت الشعر حين مدحته صفا صخرة صماء يبس بلالها وانما استعاذ من خطاء الجنان قبل خطاء اللسان لان خطاء
الجنان اعظم وافحش من خطاء اللسان الا ترى ان اعتقاد الكفر بالقلب اعظم عقاباً من ان يكفر الانسان بلسانه وهو غير معتقد للكفر
بقلبه واما استعاذ من زلة الكلم قبل زلة القدم لانه اراد زلة القدم الحقيقية ولا ريب ان زلة القدم اهون واسهل لان العاثر يستقل
عن عثرته وذا الزلة يجده ينهض من صرعته واما الزلة باللسان فقد لا يستقال عثرتها ولا ينهض صريعها وطالما كانت لا شوى
لها قال ابو تمام يا زلة ما وقيتم شر مصرعها وزلة الراي تنسي زلة القدم قال الرضي ره باب المختار من خطب امير المؤمنين ع واوامره
ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة الشرح المقامات
جمع مقامة وقد يكون المقامة المجلس والنادي الذي يجتمع اليه الناس وقد يكون اسماً للجماعة والاول اليق ههنا لقوله المحضورة الخ قد

حضرها الناس ومن الآن نبتدي بشرح كلام امير المؤمنين ع ونجعل ترجمة الفصل الذي نروم شرحه الاصل فاذا انهيناه قلنا الشرح
فذكرنا ما عندنا فيه وبالله التوفيق الاصل فمن خطبة له ع يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم ع الحمد لله الذي لا يبلغ
مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن
الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد
بالصخور ميدان ارضه الشرح الذي عليه اكثر الادباء والمتكلمين ان الحمد والمدح اخوان لا فرق بينهما تقول حمدت زيداً على انعامه
وحمدته على شجاعته ومدحته على شجاعته فهما سواء يدخلان فيما كان من فعل الانسان وفيما ليس من فعله كما ذكرناه من المثالين
فاما الشكر فاخص من المدح لانه لا يكون الا على النعمة خاصة ولا يكون الا صادراً من منعم عليه فلا يجوز عندهم ان يقال شكر زيد
عمراً لنعمة انعمها عمرو على انسان غير زيد ان قيل الاستعمال خلاف ذلك لانهم يقولون حضرنا عند فلان فوجدناه يشكر الامير على
معروف عند زيد قيل ذلك انما يصح اذا كان انعام الامير على زيد اوجب سرور فلان فيكون شكر انعام الامير على زيد شكراً على
السرور الداخل على قلبه بالانعام على زيد ويكون لفظة زيد التي استعيرت ظاهراً لاسناد الشكر اليه مسماها كناية لا حقيقة
ويكون ذلك الشكر شكراً باعتبار السرور المذكور ومدحاً باعتبار آخر وهو المناداة على ذلك الجميل والثناء الواقع بحسبه ثم ان
هؤلاء المتكلمين الذين حكينا قولهم يزعمون ان الحمد والمدح والشكر لا يكون الا باللسان مع انطواء القلب على الثناء والتعظيم
فان استعمل شيء من ذلك في الافعال بالجوارح كان مجازاً وبقي البحث عن اشتراطهم مطابقة القلب اللسان فان الاستعمال لا يساعدهم
لان اهل الاصطلاح يقولون لمن مدح غيره او شكره رياء وسمعة انه قد مدحه وشكره وان كان منافقاً عندهم ونظير هذا
الموضع الايمان فان اكثر المتكلمين لا يطلقونه على مجرد النطق اللساني بل يشترطون فيه الاعتقاد القلبي فاما ان يقصروه عليه
كما هو مذهب الاشعرية والامامية او تؤخذ معه امور اخرى وهي فعل الواجب وتجنب القبيح كما هو مذهب المعتزلة ولا يخالف جمهور المتكلمين
في هذه المسئلة الا الكرامية فان المنافق عندهم يسمى مؤمناً ونظروا الى مجرد الظاهر فجعلوا النطق اللساني وحده ايماناً والمدحة
هيئة المدح كالركبة هيئة الركوب والجلسة هيئة الجلوس والمعنى مطروق جداً ومنه في الكتاب العزيز كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وفي الاثر النبوي لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال الكتاب من ذلك ما يطول ذكره فمن جيد ذلك
قول بعضهم الحمد لله على نعمه التي منها اقدارنا على الاجتهاد في حمدها وان عجزنا عن احصائها وعدها وقالت الخنساء بنت عمرو بن الشريد
فما بلغت كف امرئ متناول بها المجد الا والذي نلت اطول ولا حبر المثنون في القول مدحة وان اطنبوا الا وما فيك افضل ومن مستحسن
ما وقفت عليه من تعظيم الباري عز وجل بلفظة الحمد قول بعض الفضلاء في خطبة ارجوزة علمية الحمد لله بقدر الله لا قدر وسع العبد
ذي التناهي والحمد لله الذي برهانه ان ليس شان ليس فيه شانه والحمد لله الذي من ينكره فانما ينكر من يصوره واما قوله الذي لا
يدركه فيريد ان همم النظار واصحاب الفكر وان علت وتعدت فانها لا تدركه تعالى ولا تحيط به وهذا حق لان كل متصور فلا بد ان
يكون محسوساً او متخيلاً او موجوداً من فطرة النفس والاستقراء يشهد بذلك مثال المحسوس سواد وحموضة مثال المتخيل انسان يطير
او بحر من دم مثال الموجود من فطرة النفس تصور الالم واللذة ولما كان الباري سبحانه خارجاً عن هذا اجمع لم يكن متصوراً فاما قوله
الذي ليس لصفته حد محدود فانه يعني بصفته ههنا كنهه وحقيقته يقول ليس لكنهه حد فيعرف بذلك الحد قياساً على الاشياء المحدودة
لانه ليس بمركب وكل محدود مركب ثم قال ولا نعت موجود اي لا يدرك بالرسم كما تدرك الاشياء برسومها وهو ان يعرف بلازم من لوازمها
وصفة من صفاتها ثم قال ولا وقت معدود ولا اجل ممدود وفيه اشارة الى الرد على من قال انا نعلم كنه الباري سبحانه لا في هذه الدنيا بل
في الاخرة فان القائلين برؤيته في الاخرة يقولون انا نعرف حينئذ كنهه فهو ع رد قولهم وقال انه لا وقت ابداً على الاطلاق يعرف
فيه حقيقته وكنهه لا الآن ولا بعد الآن وهو الحق لانا لو رأيناه في الاخرة وعرفنا كنهه لتشخص تشخصاً يمنع حمله على كثيرين ولا يتصور ان
يتشخص هذا التشخص الا ما يشار اليه بجهة ولا جهة له سبحانه وقد شرحت هذا الموضع شرحاً في كتابي المعروف بزيادات النقضين وبينت
ان الرؤية المنزهة عن الكيفية التي يزعمها اصحاب الاشعري لا بد فيها من اثبات الجهة وانها لا تجري مجرى العلم لان العلم لا يشخص
المعلوم والرؤية تشخص المرئي والتشخص لا يمكن الا مع كون المتشخص ذا جهة واعلم ان نفي الاحاطة مذكور في الكتاب العزيز في مواضع
منها قوله تعالى ولا يحيطون به علماً ومنها قوله ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير وقال بعض الصحابة العجز عن درك الادراك ادراك

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)